



من البحرين حكاي

بقلم: يوسف عبدالرحمن

y.abdul@alanba.com.kw



البحرين الحبيبة من أكثر دول مجلس التعاون تفاعلا مع ثقافة أمة الضاد، ولست أزعم أنها كانت رائدة في حب العرب والمواولة لهم بل التاريخ يثبت هذا الكلام في محتواه الموروث والمسجل والموثق، بل أستطيع أن أقول بثقة إن البحرين حملت الريادة والسبق في رفعة الثقافة العربية بالنسبة لدول الخليج العربية، والذي يطالع على التاريخ البحريني العريق يعي أن البحرين منذ أواخر القرن التاسع عشر وبعد مرور أكثر من قرن استوعبت مناهج التعليم فيها كل التطورات العربية الثقافية في مصر وسورية، ومن هنا لا يذكر مبادرة البحرين الكريمة في دعوة أمير الشعراء أحمد شوقي ومبايعته أميراً للشعر العربي في عام 1927 عندما قام الشيخ حمد بن عيسى بن علي آل خليفة بإهداء نخلة من ذهب وبلحها من لؤلؤ البحرين الأصلي الى هذا الشاعر المصري الكبير بعد أن قال:

قلدتني الملوك من لؤلؤ البحرين
الآهـا ومن مرجانه
نخلة لاتزال في الشرق معنى
من بداوته ومن عمرانها

أنا شخصيا وإن كنت معجبا جدا بالنشاط الثقافي الذي تقوم به الشخبة مي بنت محمد آل خليفة وزير الثقافة وكيف نجحت بأن تجعل من المنامة عاصمة السياحة وأن تجذب الإعلام والمؤسسات السياحية والاستثمارية لمملكة الخبز البحرين إلا أنني أرى أن قطاعات المجتمع المدني البحريني مقصرة لأنهم كانوا أصحاب سبق وتاريخ.

ان من يستعرض تاريخ البحرين العربي خلال حقبة الثلاثينيات وما تلاها من السنوات يعرف ان البحرين حرصت أشد الحرص على ثقافتها العربية ودورها في ميدان الفكر والثقافة والأدب.

وقد برز من الأسرة الحاكمة شاعر فحل كبير هو الشاعر والأديب ابراهيم بن محمد آل خليفة الذي سمي برائد الإصلاح والحداثة والتنوير في البحرين، وأيضا الشاعر والأديب محمد بن عيسى آل خليفة وعبدالله الزايد رائد الصحافة والطباعة، ويكفي أن تعرف عزيزي القارئ انه أصدر أول جريدة عام 1939 وركزت على نشر الثقافة المعاصرة وبعثت الى الفكر الاجتماعي وإن وجد معارضة من الأسر البحرينية المحافظة.

نعم البحرين ولا غير البحرين هي التي نقلت الينا حركتها الأدبية والثقافية ومن هنا ينسب «صوت البحرين» التي صدرت عام 1949 والتي ضمت صفحاتها الوانا من المقالات الأدبية والفكرية والتاريخية والاجتماعية القيمة ورئيس تحريرها ابراهيم حسن كمان.

ومن ينسب دور الأستاذ ابراهيم العريض الذي أحدث انتاجا وإبداعا وبعدا في الأشعار والأدب والثقافة ولن أنسى ذكر كتابه الذي ألقه عن المنسب عام 1962، ثم ترجمه رباعيات الخيام عام 1966 وكيف نشرت مجلة الرسالة المصرية في الثلاثينيات أشعاره ومقالاته.

البحرين اليوم في ظل ملكها ورئيس مجلس وزرائها وولي العهد الأمين يستشرف احتضان الثقافة العربية امتدادا لاهتمامها المتواصل والذي بدأ خلال الثلاثينيات والأربعينيات والخمسينيات والستينيات والسبعينيات والتسعينيات ونتيجة لحرص الأجداد والآباء ظهر جيل لا يقل روعة وإبداعا وتالفا عن جيل الأوائل من الرواد فظهر الشيخ أحمد محمد آل خليفة وغازي القصيبي وعبد الرحمن رفيع وعلوي الهاشمي وحسين راشد الصباغ وعلي الشرفاوي ورائد الزباني وخالد البسام وقاسم حداد وعلي عبدالله خليفة ود. أنيسة فخرو، وغيرهم كثير فالبحرين ولادة في كل المجالات.

نكهة الماضي البحريني

استطاع مهدي عبدالله الذي اعد وترجم كتاب «نكهة الماضي» ان يعيدني بموضوعاته وحكاياته التاريخية عن البحرين خلال الحرب العالمية الثانية وما كتبه المؤرخون الانجليز عن البحرين من واقع النقل من جريدة البحرين الصحفية الوحيدة في البحرين حينذاك، وكيف جمعت الجالية الهندية التبرعات لصالح ضحايا الحرب في عام 1940 ففتح صندوق لشراء طائرات حربية للقوات الجوية البريطانية وكيف لقي المشروع المساندة من حرم سمو الحاكم وكيف استطاعت الشخبة عائشة في عام 1943 ان تقدم حصيلة التبرعات من الصندوق ما يكفي لشراء عشر طائرات مقاتلة.

وكيف اصدر الشيخ محمد بن عيسى آل خليفة امرا في عام 1939 بإرسال فرقة هجانة لحراسة حفل النقط رغم ان بداية اشتغال الحرب بدأت من يولندا البعيدة عن البحرين، الذي يقدرنا تاريخ مملكة البحرين يعي ويعرف انه امام بسلا له انجاز وموروث تاريخي عميق وسحيق وفخر لكل بحريني وعربي.

أربع شاعرات بحرينيات

إذا قلت ان البحرين تملك ارثا حضاريا في كل الاصعدة وفي تاريخها الزاهر نجد هناك اكثر من حواء شاعرة وهن اليوم من اعلام فكرنا الخليجي وهن بحق سبقن الزمن وهي نماذج رمزية للشعر البحريني وقد نجحن الى حد كبير في تسجيل اسمائهن بقوة في سجل المرأة الخليجية من خلال اشعارهن، ويسرن في الاستراحة اليوم ان اعرض نماذج من شاعرات البحرين وهن (ايمان اسيري، حمدة خميس، فوزية السندي، فتحية عجلان).

الشاعرة ايمان اسيري

اما ايمان اسيري التي ولدت في المنامة عام 1952 وصدرت مجموعتها الشعرية الأولى بعنوان «هذي أنا القبرة» طباعة بيروت عام 1982 وضمت 19 قصيدة تقول:



ايمان اسيري



فتحية عجلان



فوزية السندي



حمدة خميس



ابراهيم العريض



طالبات ثانويات البحرين ونظرة لاستشراف المستقبل

اعرفها في كل العالم
كانت تعلن شيئا
كانت تعلن..
كانت..
كانت..

تعليم البنات

اتمنى ان يقرأ القارئ التواريخ حتى نعرف سر ثقافة البحرينيين خاصة من النساء لان هذا التاريخ سجله وثقه الاخ مهدي عبدالله القاص والمترجم وهو عضو في اسرة ابناء البحرين وجمعية تاريخ وآثار البحرين، وهو يقول: بدأ تعليم البنات في البحرين عام 1928 وكانت اول مدرسة لهن عبارة عن بيت بالحرق مستأجر من السيد عبدالرحمن الزباني وكانت مديرة المدرسة هي الأنسة فاطمة البيات، سورية الجنسية. في العام 1929 فتحت مدرسة للبنات في المنامة وكانت مديرتها السيدة سنية طيارة (لبنانية)، وهي زوجة ناظر المعارف السيد فائق ادهم.

افتتحت مدرسة الحد للبنات عام 1939 وكانت مديرتها السيدة لطيفة الزباني. اول مدرسة بحرينية هي السيدة مريم عبدالله الزباني وكانت تقوم بالتدريس بمدرسة البنات في المحرق ويعود اليها الفضل في تشجيع الفتيات على الالتحاق بتلك المدرسة.

تم فصل تعليم البنات عن البنين عام 1940 حيث تولت الليدي بلجريف، زوجة المستشار، ادارة معارف البنات بعد ترحيل السيد فائق ادهم.

تخرجت اول دفعة من حملات الشهادة الابتدائية وعددها ست طالبات في العام 1941، وكانت تتكون من الطالبات منيرة يعقوب، سلمى سالم، فاطمة سالم الناظر، نجية سالم، شخبة الصبح ومريم محمد صالح.

وقد عينت السيدة منيرة يعقوب مديرة لمدرسة الرفاع الشرقي التي افتتحت عام 1941.

تخرجت اول دفعة من حملات الشهادة الثانوية عام 1956 وكان عددهن خمس طالبات هن: صفية دويغر، منيرة علي آل خليفة، مي الشيراوي، منيرة فخرو، ونزيهة علي الرضوي.

في نفس العام ارسلت الحكومة الطالبتين صفية دويغر ومي الشيراوي في بعثة لإتمام دراستهما الجامعية بكلية بيروت للبنات.

اول خريجة جامعية بحرينية هي صفية دويغر. في العام 1945 عينت السيدة وفيفة طيارة مفتشة على مدارس البنات وكانت قبل ذلك مديرة لمدرسة البنات في المحرق التي تعرف حاليا باسم «خديجة الكبرى»، وفي العام 1957 عينت مديرة لمعارف البحرين.

تخليلوا كل هذا في اربعينيات القرن الماضي، فكم هن رائعات بنات البحرين فالمدج الثقافي اخذنه كبيرا عن كابر.



عودة التحليق فوق الجذور
وفي المنقار طعم الملح والخبز المنسي
طار فوق السهل زرع البذر
سقى الجدول طال العود اخضر الماء وفي الحلق طعم الحلوى

الشاعرة حمدة خميس

ولدت في البحرين عام 1946 وعملت مدرسة لمدة عشر سنوات، مارست الصحافة فكتبت في جريدة «الأضواء» ومارست كتابة الخطاط القصيرة واعمال المسرح، ثم عملت في مجلة «الازمنة العربية» بدولة الامارات، وشاركت في الامسية الشعرية الاولى عام 1970 في البحرين، واصدرت مجموعتها الشعرية تحت عنوان «اعتذار للطفولة»، عام 1978، تقول:

يا عمق براءة اطفال العالم
بلدي اغطية الدفء لكم معذرة
لا املك غير الجلد المترقق في فجوات الصمت معذرة
لكماتي راحة الصوت
لأن السيف القائم يسقط فوق رؤوس الكلمات
ولأن الزنزانة فاغرة الاشداق.. يربعيني.. يربعيني
لقد قرأت اشعارها فهي مشدودة للوطن وللمترات.

الشاعرة فوزية السندي

ولدت بمدينة المنامة عام 1957 وحصلت على بكالوريوس من جامعة القاهرة لتعود الى البحرين وتعمل في مجال البنوك، تقول في قصيدة «حبيبي»:

يا هذا الزهر الشوكي الثابت في قلبي
في ليل يحترف الحزن
وظني يحترف العزف على اجساد الموتى
غبار الهم النازف من جسدي
يا وشما
محفورا كاله الخصب على الدم يا وطن

الشاعرة فتحية عجلان

ولدت بمدينة المحرق عام 1953 وهي زوجة الشاعر المعروف علي الشرفاوي.
والشاعرة فتحية كتبت اشعارا بالعامية والفصحى وصدر ديوانها الاول عام 1984 في المنامة بعنوان «اشرعة العشق»، تقول:

ما بين ضلوعي كان الطفل النائم حيك
كان الورد الزاهر حيك
كان العشب الحالم قلبك
اين عيونك؟

آخر الكلام

استاذي وشاعري المفضل علي الشرفاوي - المبدع المتألق دائما في سماء الشعر ففي كتابك حوار شمس الروح استنسمحك العذر بأن اجعل مسمى البحرين شمس الروح فهذا المتألق دائما يقول في قصيدته التي بعنوان «جزيرة حب» والبحرين جزيرة حب وتاريخ واصالة وحضارة يقول:

حوار يا مهرة بحر يا عنوة المحتاج
من يلحم الهدهد عدل مرده يلحم تاج
وانتي مثل ما انتي دهر فوق الملامح تاج
كذاب من قال الجزر على البحر صخره
اشلون صخره والبحر عايش لها صخره
ضحكي تراني بضحكتك عمري لج اصخره
ما دام بج قلبي امتلا للغير ما يحتاج

تقي البحارنة..

والاستاذ ابراهيم العريض

في صباح بارد من شتاء الكويت في هذه الايام وبعد صلاة الفجر قرأت كتاب الاستاذ تقي محمد البحارنة وقد اعجبني لانه بانوراما في مختلف شؤون الادب والفكر والفن والحياة وفي احوال المجتمع البحريني وسير شخصياته بل مسيرة البحرين الثقافية واللافت للنظر هو اسلوب المؤلف المتميز وحفظه للوقائع الادبية والثقافية، وقد استوفقني طويلا وهو يتحدث عن الاستاذ ابراهيم العريض، حيث قدمه قائلاً:

«العريض.. استاذ رائد لجيل من الرواد في الثقافة والفكر والادب.. وموسوعة للمعارف والفنون تمشي على قدمين، وهو قبل ذلك وبعده شاعر مبدع، يتغنى بشوق الطفل لاصطباح الفراشات الهائمة.. انه استاذ وشاعر بمعنى الكلمة».

الاستاذ ابراهيم العريض سوف يبقى اسمه خالدا في ذاكرة البحرين، وفي قلوب اهل البحرين ومحبيه والمعجبين به.. وهم كثر في ارجاء الوطن العربي سواء ممن تعرفوا عليه في مناهج التدريس في الجامعات او ممن اطلعوا على شعره وابده وثقافته في لغته العربية الاصلية او ما كتبه باللغات الوردية والانجليزية والفارسية.

كتب العريض الشعر منذ صغره، وانشج فنا شعريا قصصيا جميلا وعالج قضايا الوطن العربي وهومو الإنسان من خلال مؤلفاته، واشتمل شعره على تصوير الحياة الاجتماعية للمرأة والقيم الاجتماعية، وقضايا الفقر والغنى، والحب والزواج، والغيرة والانتقام، والريف والمدينة وغيرها، لكنه تجافى عن ذكر الأماكن والأشخاص، وأعاد ترتيب المواضيع من وجهة نظر المصلح الاجتماعي تجاه قضايا «الإنسان»، وعواطفه وغرائزه وتقاليد الموروثة، حينما كان:

لم يرض العريض عن ديوان شعره الأول «الذكرى»، لأنه جاء على النسق التقليدي المتوارث في الشعر العمودي، الذي لم يستوعب طموحه للتجديد في الشعر بالنسبة لعصره، فأزاله من ذاكرته، واتجه في ثلاثينيات القرن العشرين الى الشعر الرومانسي المنحدر، متأثرا بأدب المهجر والادب الانجليزي والهندي والفارسي، ومال بنقله الى الشعر القصصي، وانشج فيه آثارا أدبية رائعة ابتداء من أربعينيات القرن.

القاهي في أمسيات نادي العروبة، الذي احتضن أدبه وشعره، وفي جريدة «البحرين» لصاحبها الاستاذ عبدالله الزائد. لكن العريض الذي وصف نفسه بـ«الزائد» انا والله محترم بجميل الذكر حتى كأنه بعض ديني

لم يلمس من المجتمع ذلك التجاوب والاعجاب الذي كان يصبو اليه، اذ سرعان ما اصطدم بالذوق الأدبي السائد في مجتمع البحرين وقيمه التقليدية المألوفة آنذاك، فركبته موجة من اليأس والاحباط ونفض كفيه من الشعر، قائلاً:

نفضت كفي من ورد ومن آس
وعبت بالشوك اكليلاً على راسي

ثم هجر الشعر رداً من الزمن فاستحقت الأصدقاء لمواصلة العطاء لدرجة الإحراج، وعاد الى هوايته وفنه واصدر أبحاثه ودواوين شعره ومنها العرائس وشموع، والشعر والفنون الجميلة.

ومن الشعر الحديث وكتاب الأساليب الشعرية ثم نشر مقالاته في مجلة صوت البحرين والرسالة في مصر، رحم الله ابراهيم العريض، فهو من شعراء البحرين المبرزين.

البحرين ومشكلات التغيير

في عام 1984 اصدر د.محمد الميحيي - كتابا بعنوان «البحرين ومشكلات التغيير السياسي والاجتماعي»، وهو عبارة عن دراسة سوسيولوجية تلم بتاريخ البحرين الاجتماعي والسياسي واستعرض التطور الحاصل في البحرين ورسد أهدافه، وكانت الدراسة التي تحولت الى كتاب من 4 أجزاء مفصلة عن الخلفية التاريخية والبشرية وتاريخ البحرين والعوامل التي اثرت في مسار هذا التاريخ وواقع التركيب السكاني والاجتماعي، وقد ركز الجزء الثاني فيه على واقع الاقتصاد وعلاقته بالتغيرات الاجتماعية الحادثة في بنية المجتمع البحريني.

واستعرض التعليم وأهميته ووضع المرأة ونمو الطبقات الجديدة. اما الجزء الأخير فقد شمل التغيرات السياسية وأثرها في المجتمع البحريني منذ نهاية الحرب الاولى حتى الاستقلال في أوائل السبعينيات.

كتاب قيم أتمنى من صاحبه ان يعيده ويقارن بما تم من إنجاز حضاري يحسب للأسرة الحاكمة في البحرين والشعب البحريني الشقيق في شتى المجالات مما جعل البحرين اليوم الأبرز في التنمية الخليجية.

بنات البحرين

قرأت كتاب الزملة وفاء أبو ديب (بنات البحرين شؤون وشجون) وحالات من الواقع ويبدأ بموقف مقابلة تمت بين اثنتين فكلمتا تلقاهما بالورود فكانت تظن ميرته الرومانسية، وعندما عاشت معه اكتشفت انه رجل يلهث وراء المال فبحثت من جديد عن حلم آخر.

تقول في الإهداء:

إلى كل من رغب بالاستقرار فأساء الاختيار، الى التي احترقت من أجل ان توفد شمعة وتحبس دمعاً.. لك أنت اخيتي.

أتصور أن المؤلفات أزدادت من خلال كتابها ان توصل رسالة بما يخص الزواج وطرق حصوله مروراً بالخطبة وانتهاء بالزواج ثم الانجاب أو الغدر أو الخيانة.. رسالة تحذيرية كتساب طريف في عالم التأليف الجديد يبدأ بين اثنتين هي وهو... ولا أدري لماذا كان اسمه بنات البحرين؟ فالحقوى رجل وامرأة إلا أنني أرى أن بنت البحرين ذكية والمعية وصابرة وكلها الهام وحيوية وتآلق.